

الإصلاح ملح الأرض

بقلم: الدكتور علي خليفه الكواري

منسق ومحرف اللقاء

الحاجة للإصلاح في دول مجلس التعاون ، ماسة وعاجلة لمواجهة أوجه الخلل المزمنة والمتفاقمة فيها . وقد كانت هذه الحاجة للإصلاح موضوع أوراق ومناقشات ألقاء السنوي الثالث و الثلاثون لمنتدى التنمية ، وقد بينتها فصول كتابنا هذا "السياسات العامة والحاجة للإصلاح في دول مجلس التعاون " . كما تم التطرق لبعض أوجه تلك الحاجة للإصلاح بالتفصيل في مقدمة كتاب " الشعب يريد الإصلاح... في قطر " ومقدمة كتاب "اقتلاع الجذور". ولا داعي في هذا التقديم المقتضب ان نكرر أوجه الخلل المزمنة والمتفاقمة هذه او الحاجة الماسة لإصلاحها.

ومن ينكر ألحاجة للإصلاح في المنطقة ، فإنما يتجاهل حق أهل المنطقة بأجيالهم المتعاقبة في حياة كريمة ومستقبل آمن ، ويضع نفسه ضد سنن الكون . فالإصلاح مطلوب في كل مكان وزمان. والإصلاح ملح الأرض ، إن فسد فسدت الأرض وتخلف المجتمع ، وهو السبيل إلى الرقي والنماء والأمان في كل مجتمع ودولة. وغني عن القول أن القيام بالإصلاح يتطلب بالضرورة تحديد أوجه الخلل وتشخيص عقبات التنمية الشاملة المستدامة. فالإصلاح ليس مجرد شعارا أجوف وإنما هو مشروعا وطنيا له شكل ومضمون يتم الاتفاق عليهما مجتمعيا.

وإذا كان من الجائز أن تكون هناك جهات نظر حول مضمون الإصلاح وأولوياته - التي يجب تحديدها من خلال مشاركة سياسية فعالة في إطار حوار وطني جاد - ، فإن ضرورة الإصلاح الجذري من الداخل في كل دولة من دول المنطقة لا يجوز الأختلاف حولها ، بل يجب العمل على المستوى الرسمي والأهلي من أجل التوافق عليها و بدء عملية الإصلاح لمواجهةها قبل فوات الأوان.

ومما يؤسف له حقا أن ألحاجة للإصلاح في المنطقة أمر مسكوتا عنه إعلاميا ورسميا ،عربيا ودوليا ، وأن هناك من يقول - اقتناعا أو تملقا - أن دول المنطقة قد قامت بالإصلاح مبكرا أو إنها لا تحتاج للقيام به طالما مستوى المعيشة فيها أعلى من بقية الدول العربية ، حيث يتردد شعار "الشعب يريد...". فنظم الحكم في المنطقة محمية من قبل دول عظمى ، و "مستقرة " بسبب " كون السلطة أكثر من مطلقة والمجتمع أكثر من عاجز " ، ومستويات الدخل فيها مرتفعة بسبب تدفق عائدات تصدير النفط والغاز. والشعب فيها لديه قابلية تقليدية لقبول الحكم المطلق ولا ينتظر منه أن يرفع شعار "الشعب يريد...".

وإن تجرأت جماعة ورفعت ذلك الشعار أو ما يقاربه ولو على سبيل المجاز ، فإن ترسانة السلطة الناعمة منها والصلبة تكون لها بالمرصاد دون خوف من تأييد إعلامي خارجي لتحركات الداخل ، فالخارج حليف والهدف المشترك هو بقاء الأوضاع في دول مجلس التعاون على ما هي عليه ، بعيدة عن تحركات الانتقال الى نظم حكم ديمقراطية تشد اليوم المطالبة بها في بقية الدول العربية.

ومن هنا على الواعين المعنيين بالإصلاح من ابناء المنطقة باعتبارهم ضمير مجتمعهم ، مهما قل عددهم وضعف تأثيرهم بسبب آليات الضبط السلطوي ، أن يصدحوا بقول كلمة الحق ويتحملوا تبعاتها متواصين بالحق وبالصبر .

و قد جاءت أوراق ومناقشات اللقاء الثالث والثلاثون لمنتدى التنمية المنعقد في الدوحة مطلع ٢٠١٢ والذي شارك فيه أكثر من مائة وعشرون معنيا بالإصلاح من أهل المنطقة (أنظر أسماء المشاركين في اللقاء) ، لتدحض إنكار أحاجة للإصلاح في المنطقة وتستتكر تجاهله وتؤكد الحاجة للانتقال الى نظم حكم ديمقراطية ، وإرساء ملكيات دستورية في دول المنطقة. كما أكدت الأوراق والمناقشات على ضرورة إصلاح السياسات العامة لمواجهة أوجه الخلل المزمنة والمتفاقمة في المنطقة.

وهذه الأوراق والمناقشات هي موضوع كتابنا هذا الذي يمثل حلقة في دعوة منتدى التنمية المتواصلة للإصلاح في دول المنطقة عبر ثلث قرن من الزمن. وربما نجد في أوراق ومناقشات اللقاء الثالث والثلاثون لمنتدى التنمية هذا تنبيها لضرورة الانتقال من الدعوة للإصلاح إلى المطالبة به سلميا في كل دولة من دول المنطقة من قبل القوى الحية فيها.

فمنتدى التنمية منذ انطلاقه عام ١٩٧٩ ، ركز على إبراز الحاجة للإصلاح بعد ان بينت دراسات المنتدى وحواراته أوجه الخلل وقصور السياسات العامة في دول المنطقة ، عن معالجة مشكلات التنمية وتذليل عقباتها. فكان كتاب "دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية" أول موضوعات وإصدارات المنتدى تلاه كتاب "البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية وكتاب "تربية اليسر وتخلف التنمية" <http://dr-alkuwari.net/developmentforem> واستمرت لقاءات المنتدى السنوية والندوات المتخصصة في تناول مختلف الموضوعات التي تتعلق بالتنمية في المنطقة ، ونشر المنتدى الإصدارات حولها.

وفي اللقاء الخامس والعشرون عام ٢٠٠٤ توقف المنتدى عند ضرورة الخروج بمحصلة لما تم تناوله في المنتدى على مدى ربع قرن ، و من ثم طرح مشروعا للإصلاح الجذري من الداخل في مواجهة أجمود الرسمي وما كان يطرح من مشروعات خارجية. ونشر ذلك في كتاب "نحو إصلاح جذري من الداخل" عام ٢٠٠٤ من قبل دار قرطاس في الكويت.

وبذلك يأتي كتابنا هذا تنويجا لجهود منتدى التنمية ونقله لنشاطاته من الدعوة للإصلاح إلى تعزيز المطالبة به في سياق مطالبات الشعوب العربية بالإصلاح عبر الانتقال إلى نظم حكم ديمقراطية.

وجدير بالذكر ان اللقاء الثالث والثلاثون لمنتدى التنمية موضوع كتابنا هذا، هو استكمالاً للندوة التخصصية التي عقدت في دبي في حزيران ٢٠١١ وتناولت "انعكاسات التحركات العربية من أجل الديمقراطية على دول مجلس التعاون". وقد تم نشر ما تيسر من أوراق تلك الندوة في مجلة المستقبل العربي وترجمت للإنجليزية.

وقد تناول كتابنا هذا في القسم الأول منه نماذج من السياسات العامة تمثلت في بحث "الفجوة بين تنمية رأس المال البشري والإصلاح المؤسسي" للدكتور خالد بن عثمان اليحيى وتعقيب الدكتور عبد العزيز محمد الدخيل . تلاه بحث "سياسات التوسع العقاري من منظور الخلل السكاني" للدكتور عمر هشام الشهابي

وفي القسم الثاني يعرض الكتاب حالات دراسية حول الحاجة للإصلاح في دول مجلس التعاون:

أولها: الحاجة للإصلاح في عمان للدكتور محمد بن طاهر آل ابراهيم

ثانيها: الحاجة للإصلاح في الكويت للأستاذ أحمد الدين

ثالثها: الحاجة للإصلاح في المملكة العربية السعودية للدكتور عبد المحسن هلال

رابعها: أحداث البحرين: الأزمة والمخرج للأستاذ حسن علي رضي

وقد تم نشر جميع المداخلات التي تم طرحها عند مناقشة كل ورقة. كما تم ختام جلسات اللقاء ، بمداخلات رئيسية حول أهمية وإمكانية الانتقال من الدعوة للإصلاح إلى المطالبة به في دول المنطقة ، قدمها كل من الأستاذ فهد البذال والدكتور محمد بن صنيان و الأستاذ يعقوب الحارثي.

وفي الفصل الثامن من الكتاب أضيفت ورقة منقحة لي حول "ألحاجة للإصلاح في قطر" - تعذر تقديمها في ألقاء بسبب ضيق الوقت -، كي تكتمل الحالات الدراسية عن دول المنطقة . وقد تعذر كتابة ورقة حول الحاجة للإصلاح في الإمارات العربية المتحدة وهي إلى جانب قطر أكثر الدول حاجة عاجلة لإصلاح الخلل السكاني المتفاقم فيهما خاصة.

وفي الختام أتقدم بالشكر للزملاء الأعزاء الذين قدموا العون والمساندة في كل مرحلة من مراحل تنسيق اللقاء وتحرير الكتاب. وأخص المنسقة العامة لمنندى التنمية الدكتور أبتسام الكتبي بالشكر والتقدير لما قامت به من قيادة حكيمة وهادئة لهذه المرحلة حيث نسقت وأشرفت على أعمال الندوة التخصصية حول " انعكاسات التحركات العربية من أجل الديمقراطية على الدول الأعضاء في مجلس التعاون" وتابعت اللقاء السنوي وهيئت الظروف لنجاحه. والشكر موصولاً للزملاء الأعزاء أعضاء اللجنة التنفيذية لمنندى التنمية لرعايتهم ومساندتهم القيمة.

وأنا مدين لتجاوب الزملاء الباحثين الأستاذ أحمد الدين ، الأستاذ حسن علي رضي ، الدكتور خالد اليحيى ، الدكتور عبد المحسن هلال ، الدكتور عمر الشهابي ، والدكتور محمد بن طاهر آل ابراهيم على استجابتهم الكريمة وتحمل كل منهم عناء كتابة بحث متميز موضوعي وجريء في مجالات مسكوت عنها في المنطقة. فلهم جميعاً مني الشكر والتقدير والعرفان. والشكر موصولاً للسيدات والسادة الكرام المشاركين في الاجتماع والذين كان لتعقيباتهم ومداخلاتهم فضل أغناء موضوعات اللقاء وإنجاحها.

و أشكر أصدق الدكتور ربيع كسروان رئيس منندى المعارف في بيروت على مساهمته في إجراء تحرير لغوي وفني للكتاب و نشره وتوزيعه.

و الشكر و الأمتنان وأجب ومستحق للسيدة نجاح سكرتيرة المنتدى و محرك نشاط المنتدى وذاكرته
الحاضرة المتابعة المدققة.

وأخيرا وليس آخر أشكر زميلي الأستاذ محمد سيد عبد الله على مساعدتي في تنظيم الأجماع وتفرغ
أشرطة المداخلات وطباعتها ومراجعة تحرير المخطوطة والعناية بها.

علي خليفه الكواري

أكسفورد ٢٠-٩-٢٠١٢

